النظم الإسلامية

إعداد:

الدكتور فائز محمد جمعة الكبيسي

المحاضرة الاولى

تعريف النظم الاسلامية وخصائصها

أولا - تعريف النظم الاسلامية لغة واصطلاحا :

النظم لغة :

جمع نظام والنظام في اللغة له عدة معاني منها الجمع والتأليف (ومنه قولنا : نظمت اللؤلؤة في السلك ونظمت الشعر وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه الى بعض فقد نظمته) والطريق والعادة فمثلاً تقول ليس لهم نظام أي ليس لهم طريق يسيرون عليه.

أما النظم اصطلاحا :

فهي مجموعة الأحكام والقواعد المتناسقة والمتكاملة المتفاعلة فيما بينها أو هو ضابط لأعمال الأفراد في اي مجال ، او هي مجموعة من الاجزاء ترتبط مع بعضها وفق علاقة متبادلة .

بالنتيجة : فالنظم الإسلامية :

هي مجموعة الأحكام والقواعد والقوانين التي وضعها الله لتنظيم وضبط أعمال الناس وعلاقاتهم المتعددة والمتنوعة وهذه الأحكام والقواعد والقوانين تنبثق عن العقيدة

الاسلامية والتي بدونها لا يكون لهذه الأحكام الامتثال والقبول ، (فيراعي الانسان علاقته بربه وعلاقته مع أخيه الانسان) .

ويكتسب هذا الموضوع أهمية بالغة :

اذا عرفنا ان دراسة الاحكام الشرعية الخاصة بجانب معين من جوانب الحياة كأحكام الاسرة وأحكام الجريمة والعقوبة يهدف : ان نتعلم نظم الاسلام للحياة لتكون في النهاية الصورة المثلى لمنهج الاسلام للحياة ، ولابد قبل الدخول في دراسة النظم الاسلامية ان نتعرف اولا على خصائصها التي تميزها عن غيرها من النظم الموجودة في عالمنا الذي نعيش فيه، ومن اهم تلك الخصائص هي:

١. شمول أنظمة الاسلام لكافة جوانب الحياة : لقد تناولت النظم الاسلامية في تنظيمها كل العلاقات التي يمكن تصورها، فنظم علاقة الفرد بربه، ونظم علاقة الفرد بالفرد، وعلاقة الفرد بالمجتمع والدولة، ثم علاقة الدولة (دار الاسلام) بغيرها من الدول .

إذ اقتضت حكمة الله تعالى ان لا يترك عباده دون نظام كامل لحياتهم يكون فيه من المبادئ والتفاصيل والجزئيات ما ينظم كل جوانب الحياة، قال تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ)، وقال ايضاً: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى).

وقد جاء هذا التنظيم لكل جوانب الحياة بتشريع من علمه وحكمته، علمه بفطرة الانسان الذي خلقه، وعلمه بما يصلح له ويصلحه في حياته وما يسعده في حياته وبعد مماته، قال تعالى: (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ)، فشرع لعباده نظاما كاملا للعقيدة، اودعه كل ما يتصل بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر.

وشرع لهم نظاما كاملا للعبادات والمعاملات والاحوال الشخصية والقضاء، والقاعدة الجامعة في شمول أنظمة الاسلام أنه لا يمكن ان توجد قضية تخص الفرد او الجامعة او الدولة او المجتمع الدولي الا والتشريع الإسلامي حكم فيها نصاً او اجماعاً لان الشرع له حكم في كل مسألة في الحياة .

٢. التكامل بين انظمة الاسلام : ونقصد بالتكامل : ان الشيء لا يقوم بصورته المثلى بنفسه ، وانما يقوم بنفسه وبما يكمله ايضا، فيكون هناك تساند واعتماد من البعض على الاخر، هكذا انظمة الاسلام يكمل بعضها بعضا، ويمهد بعضها لحسن تطبيق البعض الاخر ، واساسه ان انظمة الاسلام المتنوعة مشرعة من قبل مشرع

واحد عليم حكيم وهو الله تعالى، ومنطلقة من فلسفة الاسلام الكلية الشاملة للكون والحياة والانسان ، ومتعلقة بمصالح الانسان في الدارين، بخلاف التشريعات البشرية عموما التي تكون ذات نظرة بشرية محدودة العلم ومقتصرة على تعامل الانسان مع الحياة الدنيا فقط .

ففي نظام العبادات مثلا: يمثل ضرورة وضمانة لتطبيق نظام الاقتصاد ونظام الحكم وكل انظمة الاسلام، فالعابد لربه المتربي على نظام العبادات في الاسلام يندفع نحو دفع الزكاة لان العبادة اثرت فيه، ويحكم بالعدل والقسط لان العبادة أصلت في نفسه معاني العدالة، ويبتعد عن الفحشاء والمنكر لان الصلاة أثرت فيه،

قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ).

٣. الصفة الدينية لأنظمة الاسلام : ان انظمة الاسلام قائمة على اساس هداية الله تعالى وعلى الاقرار بحاجة الانسان وحاجة العقل البشري الى هذه الهداية، فهي مؤسسة على الوحي الالهي ومصدره الكتاب والسنة منهما تستمد احكامها، وهذه الصفة لوحدها ذات نتائج عظمى وآثار كبيرة جدا غير متيسرة للأنظمة البشرية بوجه عام، فبناء انظمة الاسلام على الكتاب والسنة يشكل :

أ- ضمانا لكمالها وخلوها من النقائص والاخطاء ، فهي أنظمة مبرأة في أصولها وقواعدها من النقائص والظلم والخطأ والهوى والمحاباة والنسيان والباطل بوجه عام ، قال تعالى في وصف تشريعه: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)، وقال أيضا في نفي الخطأ والنسيان عن تشريعه (لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى)، وقال في نفي الظلم وتحقيق العدل في تشريعاته: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)، وقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) . فلا يتصور في أنظمة الإسلام ان يدخلها او يتلبس بها شيء من النقائص، بعكس الأنظمة البشرية بوجه عام نظرا لقصور العقل الإنساني عن بلوغ الكمال .

ب- يضمن لها قوة الالزام : الزاما للمجتمع الذي يؤمن بها ويقوم على أساسها نظرا لصدورها من الله تعالى خالق البشر ومالكهم ومجازيهم على أعمالهم .

ت- حسن الالتزام بأنظمة الاسلام : ان الصفة الدينية لانظمة الاسلام يعني شعور داخل الافراد بالهيبة والقدسية والاحترام تجاهها (وهذا ما تفتقره الكثير من الانظمة

البشرية) ، لذلك فهم يعظمونها لا لأنها مجرد انظمة تنظم حياتهم وانما لأنها جزء من عقيدتهم ودينهم ، قال تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)، ولذلك فالمسلم يلتزم التزاما عميقا وحقيقيا بأنظمة الإسلام ولا يحاول الخروج عنها مع سنوح الفرصة لهذا الخروج، بخلاف الأنظمة البشرية التي ينقصها هذا القدر من الهيبة والقدسية والاحترام.

ونظرا لما تقدم فان أنظمة الإسلام وبسبب الصفة الدينية تطاع طاعة اختيارية منبثقة من داخل النفس لان هذه الطاعة والتسليم لشرع الله هو شرط الايمان، قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، ولهذا فالمؤمنون يطيعون أنظمة الإسلام ويحسنون الالتزام بها ليحصل شرط الايمان وابتغاء رضوان الله تعالى، وطمعا في حسن الجزاء في الاخرة. لقد قدم لنا التاريخ امثلة فريدة في ذلك فقد ولي سيدنا عمر (رضي الله عنه) القضاء في عهد سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه) فظل سنتين لا يأتيه متخاصمين .

اما الأنظمة البشرية فلا نجد غير القوة وسيلة لمحاولة الحد من تفلت الكثير من طاعة قوانينها وتعجز عن تحقيق مرادها، ولذلك عجزت الولايات المتحدة عن تحريم الخمر في الثلاثينيات من القرن الماضي على الرغم من كل ما هيأته من راي عام، وما شرعته من عقوبات، وذلك لافتقار قانونها الى الهيبة والقدسية من جهة، وعدم طاعة الناس له طاعة اختيارية من جهة أخرى.

اما الإسلام فقد استطاع بآية واحدة فطم الناس أنفسهم من شرب الخمر، وذلك حين نزل قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ).

فالصفة الدينية لأنظمة الإسلام تجعل احكامها مبنية على مبدأ الحلال والحرام وهو مبدأ اقوى من مبدأ الجائز والممنوع في الأنظمة البشرية.

المصادر:

١- النظم الاسلامية : د. منير حميد البياتي

٢- النظم الاسلامية : د. حسن حسين الحاج

٣- النظم الاسلامية : د. عبد العزيز الدوري

٤- النظم الاسلامية : د. صبحي الصالح